

نشأة وتطور علم النفس الاجتماعي :

لقد نشأ علم النفس الاجتماعي في بدايات القرن العشرين وتحديداً يعتبر عام 1908 هو سنة ظهور ويرجع البعض بدايات العلم إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما وضع أوجست كونت تصنيفه للعلوم الاجتماعية وقدم فكرة الوضعية . التي اعتبرها العلماء والمؤرخون بداية علم الاجتماع الحديث . وهي مذهب فلسفى معاصر يرتكز على دراسة الظواهر دراسة علمية ، أو وصفية أو تحليلية للوصول إلى القوانين والقضايا والحكام العامة التي تخضع لها هذه الظواهر . وقد طبق هذا المبدأ على الظواهر الاجتماعية لأنه كان يرى أن ظواهر المجتمع تخضع لقوانين لا تختلف في طبيعتها وثباتها عن قوانين العلوم الأخرى . والوضعية في نظر كونت تمثل المرحلة الأخيرة التي يستقر عندها الفكر الإنساني في تطويره ، وقد مر الفكر الإنساني بحسب نظريته في ثلاثة مراحل هي :

- 1) **المرحلة اللاهوتية (الثيولوجية)**. حيث يذهب العقل في تفسيره للظواهر بحسبها إلى قوى غيبية خارقة
- 2) **المرحلة الميتافيزيقية**. وفيها يفسر العقل الظواهر بحسبها إلى معانٍ وقوى مجردة غير مشخصة.
- 3) **المرحلة الوضعية**. حيث يفسر العقل الظواهر عن طريق ربطها بالقوانين التي تخضع لها.

تقابل كل مرحلة منها وجهة نظر معينة إلى العالم في المرحلة الأولى (اللاهوتية). أما المرحلة الثانية (الميتافيزيقية) فهي يفسر العقل الظواهر بحسبها إلى معانٍ وقوى مجردة غير مشخصة أما المرحلة الوضعية حيث يفسر العقل الظواهر عن طريق ربطها بالقوانين التي تخضع لها وقسم كونت العلوم في مبلغ خصوصيتها للفكر الوضعي إلى قسمين:

- 1 - قسم وصل إلى الوضعية وهو العلوم الرياضية والطبيعية والبيولوجية.
- 2 - قسم لم يصل بعد وهو الدراسات المتعلقة بالإنسان والمجتمع .

ورأى انه بفضل إنشاء علم يدرسها وهو علم الطبيعة الاجتماعية وسماه بعد ذلك علم الاجتماع تتحقق للفلسفة الوضعية العمومية والكلية وتصبح قادرة على أن تحل محل التفكير اللاهوتى والميتافيزيقى فى تفسير الكون وما يشمله من الظواهر المختلفة.

وبدا في أول الأمر أن مهمة علم النفس الاجتماعي ستكون تعليم علم النفس العام بالمصل الاجتماعي ، وإخضاع دراسة المجتمع لسمات الشخصية . لذلك اتبع العلم في بدايته الأسلوب التجارب على الجماعات والأفراد . وذلك في الفترة ما بين الحربين العالميتين ، ولكن تم خض ذلك الاتجاه عن مجرد معالجة البيئة الاجتماعية لاكتشاف أثرها على سلوك الفرد في ظروف المعمل . وأدى هذا إلى ابتعاد النتائج عن الواقع المعاش ونشأت أثر ذلك ونتيجة للتركيز على الطريقة التجريبية ، أزمة في علم النفس الاجتماعي بين السبعينيات والستينيات من القرن العشرين . حيث ظهرت بدائل متعددة لدراسة التأثير الاجتماعي ، خاصة في دراسة الجماعات الصغيرة واللجوء إلى الملاحظة الواقعية والتخلص من الدراسات الضيقية .

تطور علم النفس الاجتماعي:

أولاً: في القرن الرابع قبل الميلاد أنتج الفكر اليونانى نظما فلسفية متكاملة ، ونجد هنا أن فلاسفة اليونان قد عنا بدراسة النفس : تكونها ، معناها ، مادتها ، مكانها للعالم المادي ، والوظائف النفسية والعقلية وطريقة إثبات كل ذلك) ، كذلك عنا بدراسة الصلة بين الفرد والمجتمع ومحاولة التحكم في هذه الصلة ، وتوجيهها الوجهة السليمة وتسمى هذه المرحلة بمرحلة التفكير الفلسفى . وتعتبر محاولات فلاسفة اليونان أكثر انتظاما وأقرب إلى روح التفكير المنطقي القابل للتعيم ، وربما كان أبرز من ساهم في تطور علم النفس الاجتماعي من فلاسفة الإغريق أفلاطون وأرسطو فقد تكلم أفلاطون عن أول مبدأ لتكوين

المجتمعات وذلك عندما تكلم عن (المدينة الفاضلة)، فهو يعتبر أن الميل للجتماع ظاهرة طبيعية ناشئة من تعدد حاجات الفرد وعجزه عن قضاها بمفرده ، ولذلك تتآلف الناس أولاً في جماعات غفيرة تعاونت على توفير المأكل والملابس ثم تزايد العدد وكونوا المدينة . فهذه المدينة الأولى ليس لها حاجات إلا الضرورية وهي قليلة يتسعى إرضاؤها بلا عناء ولكن سرعان ما تختفي هذه القناعة وتظهر حاجات جديدة فتضيق الأرض بمن عليها فتشتبك الحروب بين الشعوب.

أما أرسطو فقد ناقش آراؤه في تكوين الجماعات وذلك في كتابه (السياسة) وفيه يعتبر الجماعة الأولى هي الأسرة ، ويعتبر أن تحقيق دوافع الفرد وحمايته من الأخطار هي الغرض الأول من الجماعة سواء أكانت أسرة أو قرية أو مدينة . وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والبنين والعبيد. الزوج هو رب الأسرة لأن الطبيعة حبته بالعقل الكامل، أما المرأة فأقل عقلاً ووظيفتها العناية بالمنزل والأولاد تحت إشراف الرجل، أما العبيد فهم ضرورة اجتماعية وهم أقل قدرة من حيث الذكاء الفطري، أي أن أرسطو يؤمن بوجود فروق بين الجماعات وبين البنين والبنات وبين السادة والعبيد كذلك يؤمن بوجود فروق بين الشعوب فشعوب الشمال الجليدي شجعان لهذا لا يكدر عليهم أحد صفة حريرتهم ولكنهم لا يتمتعون بالذكاء لهذا كانوا عاجزين عن السيطرة على جيرانهم ، أما الشرقيون فيمتازون بالذكاء ولكنهم خلو من الشجاعة . أما الشعب اليوناني فيجمع بين ميزة (الذكاء والشجاعة).

ثانياً : وقد نشأت في البلاد الغربية في العصور الوسطى كذلك وبعد ظهور الدين الإسلامي حضارة إسلامية متقدمة وازدهرت العلوم والفلسفة وحفظ نتاج الفلسفة اليونانية من الضياع بترجمته إلى اللغة العربية ، ووضع فلاسفة العرب مؤلفاتهم متضمنة جوانب عن النفس ، وجوانب تتضمن الصلة بين الفرد والمجتمع . وهذه الجوانب بلا شك كان لها تأثير في تطور علم النفس الاجتماعي، ومن أبرز

الشخصيات العربية التي كان لها إسهام واضح في تطور علم النفس الاجتماعي (الفارابي، وابن سينا، والغزالى)

الفارابي: يعتبر الفارابي أن الدافع للجتماع هو وجود حاجات عند الفرد فهو مفطور على أنه يحتاج في جسمه وفي أن يبلغ أعماله إلى أشياء كثيرة لا يمكن أن يقوم بها كلها هو وحده بل يحتاج إلى عدد من الناس يقوم له كل واحد منهم بشئ. وقد عنى تماسك الجماعة والعوامل التي تؤدي إليها مثل تشابه الخلق والشيم الطبيعية والاشتراك في اللغة واللسان. وكذلك يشير إلى الصفات الضرورية للزعامة فالزعيم يجب أن يكون كامل الأعضاء سليم الجسم، جيد الفهم والتصور، جيد الحفظ، جيد الفطنة، محباً للصدق وأهله، كبير النفس، محباً لكلامه. وهذه مشكلات يهتم بها علم النفس الاجتماعي الحديث ويحاول إليها ولكن منهجه مختلف عن منهج الفارابي وأمثاله.

الغزالى: اهتم الغزالى بتكوين المجتمع وبردراسته دينامياته وكل ذلك بهدف فهم الدافع لتكوين المجتمع والعمل على إصلاحه وهديه إلى الطريق القويم طريق الدين وتعاليمه، وقد اعتبر أن تكوين المجتمع ضرورة لضمان بقاء الفرد وسلامته وبقاء الفرد وسلامته شرطان لسعادته وجود المجتمع ضرورة لتوفير الحاجات الضرورية التي لا يستطيع إنسان العيش بدونها.

ويتوقف بقاء الإنسان على إشباع دوافعه العضوية، ولكنه عاجز عن توفيرها وحده، لذا يتحتم التعاون بين الناس لتوزيع العمال فنشوء المجتمع جاء نتيجة لعجز الفرد وعدم قدرته على الحياة بمفرده لذلك خلق الله في كل إنسان رغبة للتجمع فطرية. ولكن عندما يتعدى المجتمع تظاهر مشاكل جديدة في التعاون والعلاقات الإنسانية. ونمو المجتمع وتطوره يخلقان حاجات جديدة مثل حب الجاه والسيطرة ولكن الإنسان الذي يطمح إلى تحقيق السعادة بمعرفة الله عليه أن يختار الطرق التي توصله إلى تحقيق غايته. أي أن الإنسان نتيجة لوجوده في

مجتمع ما يحتاج إلى أشياء معينة ضرورية له ، ولكن عليه أن يحدد أهدافه حتى لا ينشغل عنها بأهداف أخرى.

ولما كنت سعادة رجل الدين في معرفة الحق والتوصل إليه فإنه قد يجد نفسه في صراع مع متطلبات البدن والمجتمع ومتطلبات العلم والدين ومرحلة النمو والنضج التي يمر بها لها تأثيرها كما أنها تغير من أهداف الشخص . ويعتبر الغزالي أن رغبة الإنسان في تحقيق الأهداف الاجتماعية وإشباع الدوافع التي تخلقها الحياة في مجتمع معين غاية إلهية لاستمرار الحياة الاجتماعية والعضوية والدينية .

٤ **ثالثاً** : وقد شهدت العقود الأخيرة تزايداً مذهلاً في الدراسات النفسية إلى الحد الذي يصعب معه معالجة هذا التزايد ففي الفترة من عام (1939 – 1964) .

فقد عملت الاضطرابات الاجتماعية التي صارت الحرب العالمية الثانية والصراعات المستمرة بين الدول والأيديولوجيات التي سيطرت منذ ذلك الوقت على مسرح الأحداث إلى تعميق الاهتمام بعلم النفس الاجتماعي وأن تستحدث امتداد عظيماً في هذا الفرع من فروع الدراسة . فقد دفعت الحرب عديداً من علماء النفس للتصدي لمسؤولياتهم فيما يختص ببحث أوجه التوتر الاجتماعي.

وامتد الاهتمام من المشكلات الوطنية والسياسية ليشمل نطاقاً واسعاً من قضايا المجتمع بما في ذلك الدعاية والنظام الاقتصادي والتوترات الاجتماعية في العلاقات الصناعية والتأثيرات الثقافية والطبقية التي تقع على الأفراد ، كما يشهد بالطبع المشكلات التقليدية للجريمة والطلاق والانتخار وإدمان الخمر والانحراف الجنسي والأمراض العقلية وغيرها.